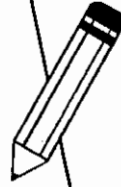


غرام الكبار

عبد العزيز فهمي

كيف جعل من

صالون مي قضيته؟



...

obeyikan.com

هو شيخ القضاء وسيد القانون ومُعلِّم الدستوريين وفيلسوف المحاكم وأمير العدل في عصره .. إليه يرجع الفضل في الفصل الحق في شتى النزاعات القضائية والقضايا الخلافية في زمانه.

هو حُجة في حرفته وعلامة وعلامة بارزة في مكانه .

فكيف سارت به قدميه لصالون مي زيادة فأصبح من أقرب المقربين لمي ومن أشرس المنافحين عن قلبها ومن ألد خصوم نجوم الفوز بهواها ؟! ولكن ..

مَنْ هو أصلاً هذا الرجل الكبير الرائع تميزاً ؟

...

يعد فهمي من أبرز الشخصيات السياسية في تاريخ مصر الحديث حيث انضم إلى سعد زغلول في حركته الوطنية وكان عضواً بالوفد وكان إحدى الشخصيات التي قامت بالسفر إلى لندن لعرض المطالب المصرية على المعتمد البريطاني - فقد كانت ثلاث شخصيات هم سعد زغلول كمتحدث رسمي وعلي شعراوي نائباً عن الوجه القبلي بالإضافة إلى عبد العزيز فهمي - حيث كان نائباً للوجه البحري المصري. ولد عبد العزيز فهمي في ٢٣ ديسمبر من عام ١٨٧٠م بإحدى قرى الريف المصري والتي تدعى (كفر المصلحة) إحدى قرى محافظة المنوفية تلقى تعليمه الأول في بلدته وحفظ القرآن الكريم ثم أرسله والده إلى جامع السيد البدوي بطنطا ليتعلم التجويد ثم ما لبث أن نقله إلى الأزهر حيث تعلم على يد مشايخه لكنه انتقل بعد ذلك إلى مدارس علمانية حتى حصل على الابتدائية ومنها إلى الثانوية. انتقل عبد العزيز فهمي بعد ذلك إلى مدرسة (كلية) الحقوق وهنا دعوني أروي لكم موقفاً طريفاً وقع بينه وبين علي باشا مبارك والذي كان ناظراً للمعارف

(أي وزيراً للتربية والتعليم) آنذاك حدث ذلك عام ١٨٨٩م وكان فهمي وقتئذ طالباً بالسنة النهائية بالحقوق ولم يبق على امتحان اللسانس سوى بضعة أشهر وفي ذلك الحين أعلنت الحكومة عن وظيفتي مترجم إحداهما في نظارة الحقانية ومرتبها ١٢ جنيهاً يعلو إلى ١٦ والأخرى في إدارة مصالح القاهرة بنظارة الأشغال ومرتبها ٨ جنيهاً يعلو إلى ١٢.

وإذ كانوا متخرجو الحقوق وقتئذ يتقاضون خمسة جنيهاً فقد أغرى هذا المبلغ فهمي وبعض من زملائه بالتقدم إلى امتحان مسابقة الالتحاق بتلك الوظيفتين ولما علم علي مبارك بما عزم عليه هؤلاء الطلبة استدعاهم إلى مكتبه بالنظارة حيث استقبلهم في غضب وسأهم لماذا يتركون الدراسة للالتحاق بالوظائف مع أنه لم يبق الكثير على حصولهم على اللسانس فجاوبوه أنها فرصة لا تترك حيث أن المرتب لا يحصل عليه خريجو الحقوق فلم يقتنع ثم خرجوا من مكتبه وهو يستشيط غضباً. وجاء ميعاد الامتحان الشفهي للمسابقة وكانت اللجنة برئاسة أربعة من كبار علماء ذلك العصر لكن المشكلة أنه كان على رأسها علي مبارك فلما رأى فهمي قال في غضب: إنت يا ولدا! ما رحتش المدرسة بتاعتك ليه؟- طيب لما نشوف ...

وكان هذا الاختبار يدور حول مطالعة كتاب «الوسيلة الأدبية» للشيخ حسن المرصفي حيث تم امتحان فهمي في باب (الإيجاز والإطناب والمساواة) وكانت قراءته له صحيحة فقال أحد أعضاء اللجنة:- خلاص .. خلاص .. قوم يا بني. فقال مبارك:- كلا .. هذا لا يكفي .. يجب أن يلخص لنا ما قرأه. ولم يكن ذلك بالشئ الصعب على فهمي ولكن ظل مبارك يضع أمامه العراقيل حتى يرسب في الاختبار ولكن كان فهمي بالفعل مثالاً للشخصية الأنسب لتلك الوظيفة حتى أن مبارك همس لأحد המתحنيين وقال:- يا شيخ عبد الكريم .. شوف له عقدة .

وهنا طلب الشيخ من فهمي أن يقرأ له تلك الأبيات حتى يقوم بتفسيرها:

وهاجرة يشوى مهاها سموها طبخت بها عيرانة واشتويتها
مفرجة منفوجة حضرمية مساندة سر المهاري التقيتها
قطعت بها شجعاء قوراء جرشعا إذا عد مجد العيس قدم بيتها
وجدت أباهارائضيها فأنفذت فيها الحكم حتى احتويتها

ويقول فهمي: « فقرأت الأبيات كأني أقرأ كلاماً أعجمياً ولكنني فسرته عيرانة بمعنى ناقة كما أدركت من عنوان الأبيات ولما جئت إلى قوله (شجعاء قوراء جرشعا) قلت: هاتوا لي قاموساً ، وهنا قال علي مبارك: كيف ذلك .. وأنت في امتحان ؟ قال فهمي: لا أستطيع تفسيرها فلم يسبق لي أن قرأت هذا الكلام الغريب. وهنا ضحك مبارك وقال: اتلبخت للرقبة ووقف حمار الشيخ في العقبة .. قم واعطنا عرض أكتافك! فرد عليه فهمي مغتاضاً: لا .. لست عريض الأكتاف .. بل إن عريض الأكتاف غيري. ولكن على الرغم مما حدث فقد نجح عبد العزيز فهمي حيث حصل على وظيفة في نظارة الأشغال ولكنه حرص على دخول امتحان الليسانس وبالفعل حصل عليه عام ١٨٩٠ م.

وفي أحد الأيام تلقى عبد العزيز فهمي بمكتبه دعوة لمقابلة السير ملنر وكان في ذلك الحين وكيلاً لوزارة المالية وصاحب الشأن الفعلي فيها فدهش لهذه الدعوة وتيب لمقابلته ولكن استقبله ملنر استقبالا طيباً وحدثه عن حاجة الحكومة إلى متخرجي مدرسة الحقوق ليعملوا في وظائف الإدارة حيث تم تعيينه معاون إدارة بالدقهلية بمرتب ١٢ جنيهاً ولكنه سرعان ما طلب نقله على إثر المشكلات التي وقعت بينه وبين أعيان المنطقة فذهب كاتباً بمحكمة طنطا وظل فهمي يترقى بالمناصب حتى ذهب إلى نيابة بني سويف وهناك التقى بصديق عمره أحمد لطفي

وفي عام ١٨٩٧م تم تعيين عبد العزيز فهمي وكيلاً للمستشار القضائي للأوقاف لكنه استقال في عام ١٩٠٣م وفتح مكتباً للمحاماة وفي ١٩٠٦ استعفى أحمد لطفي السيد من رئاسة النيابة فزامل فهمي في مكتبه وهنا يعترف فهمي بفضل لطفي السيد عليه من نواحي عدة فقد كانا يقضيان وقت فراغهما في المطارحة بالشعر وأنه له الفضل في تشجيع فهمي على الاطلاع على الدراسات القديمة من علمية وأدبية هذا بالإضافة إلى تشجيعه على ممارسة الرياضة البدنية.

وفي يوليو سنة ١٩١٣ صدر قانون بإنشاء الجمعية التشريعية لتحل محل مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وأعلن عن انتخابها مما جعل أهالي مدينة قويسنا يرشحون فهمي وينتخبونه عن دائرتهم. وعلى إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى اتجهت الأذهان إلى مصير مصر التي أصبحت تحت نير الحماية البريطانية وخشي رجال مصر أن تنقلب تلك الحماية إلى احتلال نهائي تصبح مصر من بعده جزءاً من الإمبراطورية البريطانية فاجتمع كلاً من عبد العزيز فهمي وسعد زغلول وعلي شعراوي في منزل محمد محمود باشا وعن طريق اقتراح هذا الأخير بدأت المناقشات حول السعي للحصول على حقوق البلاد وتأليف وفد للعمل لهذه الغاية.

توالت الاجتماعات ببيت سعد زغلول وتم الاتفاق على الأشخاص الذين يتألف منهم الوفد ولما كان سفره يقتضي تصريحاً من السلطة البريطانية فقد تم الاتفاق على ذهاب كلاً من سعد زغلول وعلي شعراوي وعبد العزيز فهمي لمقابلة السير ونجت لاستصدار التصريح منه وبالفعل تم تحديد الساعة الحادية عشرة من

صباح يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ استغرقت تلك المقابلة ساعة كاملة دونها عبد العزيز فهمي بيده والتي أودعها بعد ذلك بين أوراق الوفد لكن لم يتمكن الوفد من استخلاص التصريح منه. تألف الوفد المصري وبدأ ينهض بمسئولية الدفاع عن حقوق البلاد ويسعى لرفع الحماية البريطانية وتحقيق الاستقلال ولكنه أراد أن يبرهن للانجليز أنه وكيل الأمة وينطق بلسانها فضلاً عن الصفة النيابية التي كانت لأكثر أعضائه في الجمعية التشريعية ففكر في أن يطلب من السلطة العسكرية أن تمنح أعضاؤه جوازات سفر إلى أوروبا للمطالبة بحقوق البلاد ولكن القيادة العليا للجيش البريطانية رفضت ذلك المطلب وقدم الوفد الاحتجاجات إلى المعتمد البريطاني وممثلي الدول الأجنبية حتى تم اعتقال سعد زغلول وبعض من رفاقه نتج عن ذلك قيام ثورة ١٩١٩ الشهيرة وتم الإفراج عن المعتقلين وبعدها سافر الوفد إلى لندن ومنها إلى باريس.

وفي ٢٩ ديسمبر عام ١٩٢٠ قام عبد العزيز فهمي بكتابة استقالته من الوفد وكان ذلك بسبب تلغرافين أولهما الذي بعثه أحمد نجيب مراسل جريدة الأخبار في باريس محتواه أن عدلي باشا يكن يسد الأبواب في وجه الوفد ويضع العراقيل في سبيل المفاوضات فأرسل إسماعيل صدقي صورة من هذا التلغراف إلى عدلي الذي ذهب إلى سعد وزملائه وأبدى غضبه لما جاء في هذا التلغراف ولكن يتضح من موقف سعد السلبي أنه كان موافقاً على محتواه لكنه نفى علمه به. وبعد أيام دخل محمد محمود باشا إلى الوفد وبيده تلغرافاً من والده يفيد بأن جريدة الأخبار قد نشرت تلغرافاً آخر ورد إليها من مصطفى النحاس يقول فيه أن عدلي يكن كارثة على الوفد ولكن ذكر علي ماهر أن سعداً كان على علم بهذين التلغرافين وأن

النحاس هو الذي كتبها بالشفرة فما كان من عبد العزيز فهمي يعد أن سمع ذلك إلا أن استقال هو وبعض زملائه من الوفد هذا بالإضافة إلى إن عبد العزيز فهمي اقترح على الوفد توجيه نداء للأمة يتضمن الحث على الاتحاد وتجديد الثقة بعديلي يكن وبالفعل كتب لطفي السيد النداء ولكن عندما قرأ سعد نص النداء انفعل بحجة أنه يجب أن يكون هو محور النداء وليس عدلي باعتباره وكيل الأمة.

كان عبد العزيز فهمي هو أول من وضع مشروع الدستور المصري حيث حدث ذلك عام ١٩٢٠ عندما كان في باريس عهد إليه الوفد بوضع مشروع لدستور مصري فعكف على دراسة دساتير أوروبا واجتمع الوفد لقراءة ما أعده فهمي إلا أن سعد اعترض على بعض مواده إلى أن صدر تصريح ٢٨ فبراير وتم إعلان استقلال البلاد. استقالت حكومة سعد زغلول في ١٩٢٤ بعد مقتل السير (لي ستاك) سردار الجيش المصري وفي ذلك الوقت كان فهمي معتزلاً بالحياة السياسية حتى وصله خطابين كانا من محمد محمود باشا وحافظ عفيفي باشا حاصلهما أنهما يرغبان في أن يكون رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين ثم تم ترشيحه في البرلمان باعتباره رئيساً للحزب وفي صبيحة يوم إعلان النتيجة تم إدراج اسمه كوزير للحقانية حتى تمت إقالته على إثر خلافه مع يحيى إبراهيم باشا وفي عام ١٩٢٦ تنازل فهمي عن رئاسة الحزب وتفرغ للمحاماة. وفي نفس العام تم ترشيح عبد العزيز فهمي كرئيساً لمحكمة الاستئناف لكنه في عام ١٩٣٠ حدث أن أحد أعضاء مجلس النواب قد سأل: لماذا مرتب رئيس محكمة الاستئناف يكون كمرتب وزير؟ فاستقال فهمي من رئاسة المحكمة احتجاجاً على ذلك ثم أنشئت محكمة النقض في نفس العام فاختم حياته القضائية برئاسة هذه المحكمة. ومما هو جدير بالذكر أن

عبد العزيز فهمي كان سياسياً وأديباً موهوباً وكان عضواً بالمجمع اللغة العربية وتقدم للمجمع بمشروع لإصلاح الحروف العربية وكان يقضي وقته في قراءة ما يختار من الكتب القانونية والأدبية حيث كان من هواه قراءة الشعر ونظمه.

فهو الذي قال :

يا حادي العمر أبعدت المدى فمتى	تلقي عصاك وتعفني من الكبد
تسع وسبعون ميلادية غبرت	قضيتها بشقاء الروح والجسد
إن سامني الطبع إخلاداً إلى دعة	صالت على الأمانى صولة الأسد



عبد العزيز فهمي .. المتفرد الأول للقانون

اشتغل بالمحاماه فور تخرجه ثم عمل بالقضاء رئيسا لمحكمة الاستئناف ثم أسس محكمة النقض ويذكر له أنه صاحب اختيار هذا الاسم لها والذي قيل انه استوحى إياه من الآية الكريمة في سورة النحل «ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها» ويذكر له أنه أول من ابتدع بعض التعبيرات التى صارت من ثوابت المصطلحات القضائية مثل تعبير أوجه النفي للدلاله على أسباب الطعن كما استحدث نظرية القدر المتيقن فى القانون الجنائى ولقد تقلد سيادته رئاسة محكمة النقض كما كان ثانى نقيب للمحامين وكان اصغر من تولى هذا المنصب كما عين وزيرا للحقانيه وقد كان عضوا بمجلس النواب لايشق له غبار فقد أصبح سياسيا وثائرا من أعمدة ثورة ١٩١٩ بجوار رفيقه سعد زغلول وعلى باشا شعراوى ثم رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين كما شرف بعضوية المجمع اللغوى ولقد استحوذت فكرة العدل و قدسية القضاء على وجدان هذا العملاق وعندما ألقى كلمته فى الاحتفال بالعيد الذهبى لانشاء المحاكم جاءت لتعبر عن مدى ايمانه برسالة العدل والقضاء اذ قال :

اليوم عيد العدل يتقدم فيه سدة محراب العدل إلى حارسه الأعظم مغتربين ما أحسنوا السدانة متحدثين بنعمة الله عليهم إن وفقهم الى القيام بما لزم ضمائرهم فى هذا المحراب . ويسجل التاريخ فى أنصع صفحاته وبأحرف من نور لهذا العملاق موقفه الشامخ الذى يقطع بمدى إيمانه بقدسية القضاء وكرامة القاضى .. ففى أثناء ذهابه الى محكمة النقض قرأ فى الصحف أن مجلس النواب سوف يناقش سؤالا عن مرتب رئيس محكمة النقض و على الفور أمر سائق السياره بأن يتوجه إلى قصر عابدين وطلب مقابلة الملك فابدى كبير أمناء القصر دهشته وقال لعبد العزيز باشا:

ولكنك ترتدى ملابسك العادية وليس هناك طلب سابق المواجهة فرد عليه الباشا بحزم أبلغ جلاله الملك أن قاضي القضاء يلتزم بمقابلته بملابسه العادية لا مر يتعلق بكرامة كرسى القضاء والعدالة ..

وبعد دقائق عاد كبير الأمراء وأبلغه باستعداد الملك لمقابلته واستمرت المواجهة ساعة كاملة انصرف بعدها القاضي عبد العزيز فهمي إلى عمله بمحكمة النقض وطلب انعقاد الجلسة ثم أثبت في محضر الجلسة لقد تشرفت اليوم بمواجهة الملك بعد ما قرأت في الصحف أن مرتب رئيس المحكمة كان موضع نقاش في مجلس النواب وقد أبلغت الملك أنني أحسست أن كرسى العدالة يهتز من تحتى ولهذا فقد صممت على الاستقالة وقد استأذنته في ذلك ففضل وغمر شخصي بما طمأننى وطيب خاطري وسأذهب الآن إلى الوزارة لتقديم استقالتي رفعت الجلسة . هكذا يؤمن بقدسية القضاء وبكرامة القاضي ويذكر لعبد العزيز باشا فهمي أنه كان يعشق اللغة ويحسن استخدام مفرداتها حتى إن أحكامه تعد قطعاً من الأدبيات النادرة وما زالت تدرس لطلبة الحقوق حتى الآن ومن بينها حكمه الخالد في نفى سبب الإصرار في القضية المعروفة مقتل مأمور البداري والذي اعتاد احضار المتهم إلى ديوان القسم وإذلاله وتعريضه لأقصى أنواع الإذلال والاهانة والتعريض به وبأهله بقسوة غير مسوقة فما كان من الرجل إلا أن ترصد له وأطلق عليه النار فقتله وعندما عرضت القضية أمام هذا العملاق جرت كلمات حكمه بمفراد لا يستطيع أحد أن يأتي بأفضل منها في مقام نفى الترصد اذ جاء بالحكم والنفس المتورة الهائجة المترعجة مما كان الواجبة مما سيكون هي نفس هائجة أبدا لا يدع لها انزعاجها سبيلا للترث والتروى حتى يحكم العدل هادئاً متروياً متزناً كما يذكر انه بلغ القمة في تمكنه من فنون اللغة ونظم قصيده من ٣٣٦ بيتاً أطلقوا عليها المعلقة الثامنة كما يذكر عن

سيادته أنه كان باراً بأهل بلده حتى قيل إنه عيّن جميع أبناء البلد إلا واحداً لم يصلح أن يؤدي أى عمل فوظف حمارة في هيئة البريد ليقوم بحمل الرسائل .



obeyikar.com